رسالة من الفقيه الحاج أحمد سكيرج رحمه ا للفقيه سيدي محمد بن عبد القادر السجلماسي

فاتح ربيع الثاني 1338هـ

الحمد لله وحده، محبنا الأعز الأرضى الأديب الأريب، واسطة عقد الأقران، الفاضل الأمجد، سيدي محمد بن عبد القادر السجلماسي، أسعد الله أيامكم، وأدام احترامكم، والسلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته، وتحياته وزكواته، عن مدد سيدنا أدام الله حرمته، وبعد فقد كنت تشرفت بخطابكم المعسول، وسحر بيانكم الذي بهر العقول، زاد الله في معناكم، وبلغكم في الدارين متمناكم. ولقد استحسنا نظم تلك القصيدة التي توجت بذلك البيت البديع، فلله درك من شاعر وناثر، ولا شك أنك ستنال من الجزاء فوق ما تتمنى، فإن مدح هذه الحضرة كفيل بكل خير، فأنفق نفيس أوقاتك في ترصيع المدح في هذا الجناب، وفي جناب المصطفى (ﷺ)، ففي ذلك نجاحك ورباحك، وملاحك وصلاحك، ولتتحفنا المرة بعد المرة بما أنشأته أو تنشئه، وما أنشأه غيرك إن كان تحت يدك منه شيء، لأدرج ذلك في بعض تويلفاتي(1) خدمة لهذا الجناب الأرفع.

فلي ولوع عظيم بمدح هذا الجناب

جعلني الله وإياكم من أهل دائرته العلية، في زمرة خير البرية، وسلم منا على كل من هو منكم وإليكم، وبالأخص البركة سيدي الشيخ وجميع الأحباب، ولقد كنت ولكم العافية في زيارة المولى، وقد عافانا المولى ولله الحمد، فلذلك لم نعجل لكم بالجواب عن ذلك الكتاب مع الأسئلة التي ضمنتمونا فيه، وها نحن أجبناكم عنها بالورقة صحبته من غير تأنق في الخطاب، لأن المقصود الجواب من غير إسهاب، والزيادة على ذلك تؤدي للملل، مع ضعف طارئ عافاكم الله، وإني لمسرور كثيرا بالمشرية بوجود أمثالكم الباحثين عن الفوائد، وتقييد الشوارد، وطلب العلم الشريف، والتبري من الدعوى، فتح الله علينا وعليكم، ووفقنا للعمل بالعلم، وأسدل علينا رواق الحلم، آمين.

أما عن سؤالكم : ما هو فاعل يمكن في قول حسان(2) رضي الله عنه :

(1) كان العلامة سكيرج قد شرع في تأليف قيم سماه : الفتح الرباني فيما مدح به القطب التجاني، أراد من خلاله أن يجمع القصائد الكثيرة التي قيلت في مدح الشيخ رضي ا تعالى عنه، لكنه توفي قبل إتمام هذا المشروع الضخم الهائل، وبقيت القصائد التي جمعها للغرض المذكور متفرقة بين الكنانيش والأوراق، ولو أتمه لكان نافعا مفيدا جامعا، وكان رحمه ا يريد أن يجمع فيه المئات من القصائد المتنوعة الأبحر والقوافي، مع التعريف بأصحابها وذكر تراجمهم، وهذا نظرا لمعرفته الكبيرة بذلك، ولا يستطيع أحد أن يقوم بهذا العمل غيره، لكن ما لا يأخذ كله لا يترك كله، وللغاية هذه سنقوم إن شاء ا بمحاولة جادة في هذا الموضوع، هادفين من ذلك إلى جمع هذه القصائد وتنظيمها وترتيبها وفق المطلوب، مع العمل الجاد على تحقيقها وطبعها ونشرها لينتفع بها المحبون والقراء.

(2) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر الرسول صلى ا عليه وسلم، عاش 120 سنة، ستون منها في الجاهلية، وستون في الإسلام، قال أبو عبيدة : فضل حسان الشعراء

أيمكن من له عقل رجيح (3)　　　ومعرفة يراك ولا يقوم

الجواب : اعلم أن الفاعل هو قوله يراك بعد سبكه بأن المقدرة ومن مفعوله، والتقدير أيمكن رؤية من له عقل، وحذف أن سائغ في كلام العرب كقولهم : تسمع بالمعيري خير من أن تراه، ومثل البيت المذكور قول بعض المولدين.

ما ضر بدر الدجى في الأفق تنبحه　　　سود الكلاب وقد مشى على مهل

فقوله تنبحه فاعل ضر، والتقدير ما ضر نباح سود الكلاب بدر الدجى، والبيت المذكور روينا معه بيتا آخر وهو :

أقوم والقيام إليك فرض　　　وترك الفرض أنى يستقيم

قالهما حسان رضي الله عنه حين مر به النبي (ﷺ)، فقال له : أبشر يا حسان فإن من حفظ هذين البيتين لم تمسه النار، أقول وحفظهما يصدق بالعمل بهما، لأن العمل بالشيء حفظ له، فمن رآى النبي (ﷺ) وقام له إجلالا فإنه يدخل الجنة ولو لم يحفظ ألفاظ هذين البيتين، وكذلك من قام لشريف أو شريفة فهو داخل في هذا الوعد الجليل، فالقيام لذوي الفضل على هذا سائغ محمود، وقد قيل :

فلا تنكرن قيامي له　　　فإن الكريم يجل الكراما

وكره الإمام القيام مطلقا، وبعضهم فصل في ذلك بين المتكبر وغيره، ومن تخشى إذايته وغيره، ومذهبي إدخال السرور على من يحب ذلك بالقيام له جبرا لخاطره، ووقاية لشره في باطنه وظاهره، عملا بأدب الرسول القائل في المدارات : إنا لنبش في وجوه القوم وقلوبنا تلعنهم(4)، وقد قلت في أبيات :

وكم من يد ظلت ألثمها　　　ونفسي تتوق إلى قطعها

وقد يتبادر في معنى الحفظ رسوخ البيتين المذكورين في الحافظة، بحيث يصيرا عند حافظهما ببال من غير نسيان، وقد خرجنا في هذا الجواب عن الموضوع، ولكن لا بأس بالإستطراد، والله ينفعنا وإياكم بالعلم ويرزقنا العمل به. عبد ربه أحمد سكيرج أمنه الله بمنه.

بثلاثة : كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى ا عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام، وقال المبرد في الكامل : أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنهم يعدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم : سعد بن عبد الرحمان بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام. وكانت وفاته عام 45هـ. أنظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 326 وفي تهذيب التهذيب لنفس المؤلف ج 2 ص 247 وفي معاهد التنصيص للعباسي ج 1 ص 209

(3) رجيح : بمعنى رزين.

(4) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج رحمه ا ص 174 حيث توسع في هذا الموضوع بما فيه الكفاية.